مصطلح الشّعرية بين الغرب والعرب

ط.د/ خيرة بوخاري
المشرف: أ.د/ بلقاسم محمّد
جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان /الجزائر
Amelboukhari@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/11/30 تاريخ القبول: 2019/12/17. تاريخ النّشر: 2020/03/10

الملخّص: تعدُّ الشّعرية من المصطلحات التي استقطبت اهتمام المشتغلين بحقل النّقد على اختلاف ثقافتهم ومشاربهم ، بحثوا عن تجلياتها في الخطاب اللساني الغربي والعربي ، انطلاقا من رؤية الفيلسوف اليوناني أرسطو ، ومرورا بأعلام النقد الشّكلانيين الروس ،...يختص مجال اهتمامها بالخطاب الأدبي بكلّ مكوناته اللّغوية والصّوتية والدّلالية ، وهي من بين النَّظريات والمناهج الوافدة من السَّاحة النّقدية الغربية لها اتجاهاتها ، وآراؤها ومصطلحاتها ، وعلى الرغم من تباين نظرة النقاد العرب والغرب إلى الشّعرية وتشعُّباتها إلاّ أن أهمية البحث في هذا الموضوع تتجاوز كل ذلك إلى تقصي قوانين الشعرية في الخطاب الأدبي. وإن كان هذا المصطلح بتسميته وافدا من البيئة الأخرى ، فإنّه يدفعنا إلى التّساؤل الآتي: هل نجد لهذا المصطلح حضورًا في تُراثنا النّقدي العربي قديما وحديثا ؟ وهل نجد اتفاقا بين المفهوم الغربي والعربي حوله ؟.

الكلمات المفتاحية: الشعريّة- العرب- الغرب- العلاقة.

Poetic term between the West and the Arabs

Abstract : Poeticism is one of the terms that has attracted the attention of those working in the field of criticism of their different cultures and their aspects, they searched for their manifestations in the Western and Arab linguistic discourse, from the view of the Greek philosopher Aristotle, and through the Russian formative criticism literature, and the flags of criticism ... The field of interest in the literary discourse with all its linguistic and vocal and semantic components, From the Western monetary arena have its orientations, views and terminology, and despite the divergence of opinion of Arab critics.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

And the West to poetry and its ramifications, but the importance of research in this subject goes beyond all this to investigate the laws of poetry in literary discourse. If this term is called an expatriate from the other environment, it leads us to ask the following question: Does this term exist in our heritage of Arab criticism of ancient and modern? Do we find an agreement between the Western concept and the Arab around it?

Key words: Poetry - Arabs - West - Relationship

مقدمة: عرف النّقد الغربي عدّة مصطلحات ولجت السّاحة النّقديّة، ومن بين هذه المصطلحات: مصطلح الشّعرية الذي أثار عدّة إشكاليات حول ماهيته وكينونته والجنس الأدبي الذي يفرض نفسه فيه، ممّا حدا بالنّقاد العرب إلى البحث عنها في نظرية عمود الشّعر وذلك من خلال محاولة الكشف عمّا يحتويه النّص الأدبي من إبداع فرضته قوانين الشّعريّة، وكانت انطلاقة البحث عن الشّعرية فلسفيّة ابتداء من أرسطو وصولا إلى الفلاسفة العرب الذين استنبطوا قوانينها من النّصوص الشّعرية القديمة، في حين وردت إلينا الشّعرية الغربية بعدّة توجّهات اعتمدت في مبدئها نظرية الأدب وبحثوا عن سياقاتها التّعبيرية وقوانينها العامّة التي تحدّد أدبيّة النّص في النثر والشّعر، فما هي الخصائص التي استنطقها كلّ من العرب والغرب في الشعريّة ؟

مدخل: ماهيّة الشّعريّة

يعدّ مصطلح الشِّعرية من المصطلحات الجديدة في الخطاب النَّقدي المعاصر قام بترجمته العديد من النُّقاد، يصطلح عليه في "النَّقد الفرنسي (poétique) وفي الإنكليزي (Poetics)، وكلاهما منحدر من الكلمة اللاتينية(poética) المشتقة من الكلمة الإغريقية (Poietikos).بالصيغة النعتية التي تداولها الفرنسيون-خلال القرن 16م- بمعنى كل ما هو مبتدع مبتكر خلاق"Iventif" أو بصيغة الاسم المؤنث (Poietike) المتداولة خلال القرن السابع عشر بالمفهوم الذي خطه أرسطو في كتاب الشِّعر، وكلُّ ذلك مشتق من الفعل الإغريقي (poiein) بمعنى: فعل أو صنع"[1] فهو من أكثر المصطلحات زئبقية.

الشّعريّة عند الغرب:

يصعب تحديد مفهومها، فقد تشابكت مسيرة هذا المصطلح في تقلُّباتها بين الدّلالة التاريخية التي تعود بنا إلى أرسطو(ت322ق.م)[2]،الذي استلهم منه الفلاسفة العرب قوانين

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

الشّعرية ومحدّداتها في كتابه "فن الشعر" الذي يعدّ أوّل عمل منهجي في الشّعرية ، نجد هذا الأخير اهتمّ بالشّعر اهتمامًا كبيراً فقد وصفه بالمحاكاة في قوله «الشعر محاكاة تتّسم بوسائل ثلاث قد تجتمع وقد تنفرد وهي الإيقاع والانسجام ، واللغة»[3] ، فمعيار الشّعرية عند أرسطو يتحدّد من خلال تلك العلاقة بين هذه العناصر الثّلاثة التي قد تجتمع وقد تنفرد لتُشكِّل شِعرية ، ويرى "**أرسطو**" أنّ ما يجمع بين الإيقاع و اللّغة هو الانسجام الّذي جعله وسط العناصر.

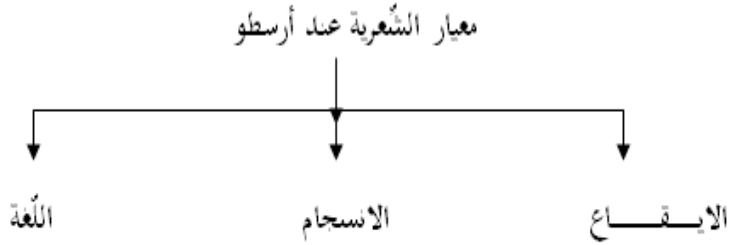

استلهم "**أرسطو**" العنصر الأوسط "الانسجام" من "**هيراقليطس**" الّذي حصر مفهوم الشّعرية في الانسجام الجمالي الّذي ينبع من الأضداد ، الاتّفاق ، الاختلاف ، فهذا التّناقض في حدّ ذاته يصنع وحدة و انسجام وتناسق يُشكِّل جمالية النّص الشّعري[4] ، وإذا عدنا إلى مصطلح الشِّعرية عند النُّقاد الغربيين نجد أنَّها «وُلدت في مطلع النَّهضة اللِّسانية الحديثة ، مع الفكر البنيوي في طوره الشَّكلاني ، ولكنّ اتّساع ضفاف الشِّعرية جعل منافذها متعدّدة واشتغالاتها تكاد تكون مختلفة من حيث زاوية النَّظر والاشتغال»[5] ، فهي تمسّ جميع جوانب الخطاب الأدبي.

انبثقت الشِّعرية من رحم الدراسات الحديثة التي أتى بها "فرناند دي سوسير Saussure Fernand"كما «أنّ الشعرية يمكن أن تشكل قسما من اللسانيات ، هو بمثابة العلم الشامل للبنى الألسنية ، بيد أنّ عددا هاما من الإجراءات التي تتناولها الشِّعرية لا يتوقف عند حدود المشكلات اللّغوية ، بل يتجاوزها إلى التعلّق عموما بنظرية العلامات la théorie des signes»[6] ،هذه النظرية التي تشير بدورها إلى السميائيات ، كما أنّ الشِّعرية يتعدّد مجال اشتغالها ، وكلّ ناقد له نظرته الخاصّة فهي عند "جون كوهن .Cohen J«علم موضوعه

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

الشعر» La poétique est une science dant la poésie est l'objet"[7]، وجعله في الانزياح.

أمّا "ياكبسون "Jakobson" فقد نظر إلى الشِّعرية نظرة تتسّم بالأدبية*، فقد ارتبط مصطلح الشّعرية بجهوده اللِّسانية التي قدّمها في مضمار حديثه عن وظائف اللّغة*، وقد أشار "**قاموس اللّسانيات**" أثناء تقديمه لمادة "**الشِّعرية**" إلى ما ورد عند "ياكوبسون" من أنّ «الوظيفة الشِّعرية هي الوظيفة اللّغوية التي تغدو رسالة ما –بوساطتها أثرا فنّيا»[8]،فالشعرية تقوم على تأدية العديد من الوظائف اللّغوية لتبليغ رسالة ما بتغيير مجري البحث من "الأدب" ذاته ، إلى ما يصطلح عليه "بالأدبية".

مخطّط "ياكوبسون" للوظيفة الشّعرية[1]

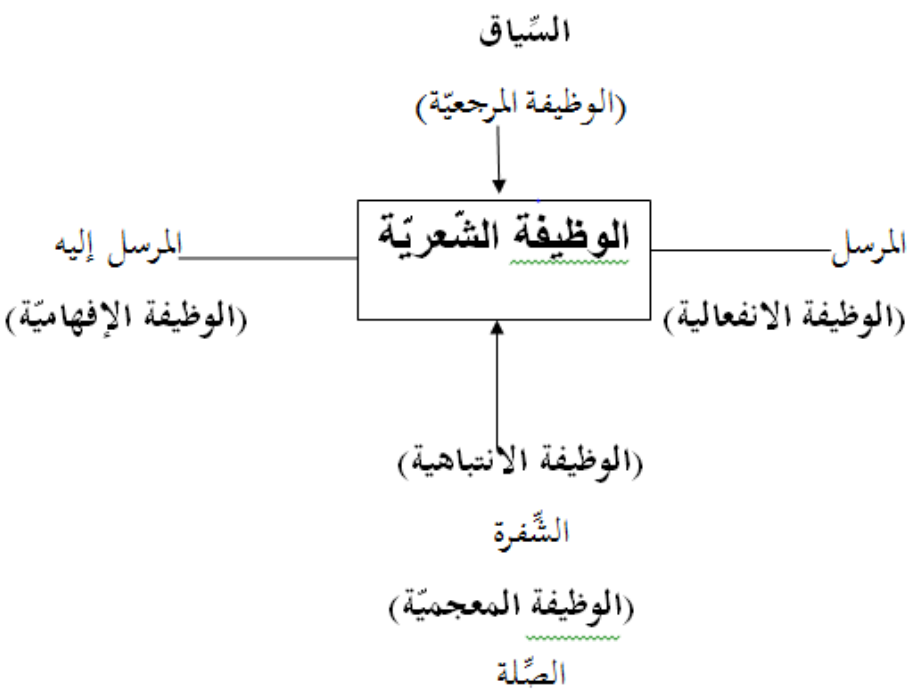

هذا المخطط يمثّل الوظيفة الشِّعرية التي نجدها في النّص الأدبي ، تشترك فيها مجموعة من العناصر التي يتولّد عنها العمل الإبداعي ، انطلاقا من المرسل وصولا إلى المرسل إليه ، فقد

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

ركزّ الشّكلانيون في دراساتهم للخطاب الأدبي على أنّ «موضوع العلم الأدبي ليس الأدب وإنمّا الأدبية أي الذي يجعل من عمل ما عملا أدبيا»[9] ، ومن ثمّ يحاولون استنطاق هذا الخطاب ومعرفة أدبيته.

ويذهب في هذا الاتّجاه "تودورف"Todorov الذي رأى أنّ موضوع الشّعرية «ليس العمل الأدبي في حدّ ذاته...فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النّوعي الذي هو الخطاب الأدبي ، وكلّ عمل عندئذ لا يعتبر إلاّ تجليا لبنيّة محدّدة و عامّة ، ليس العمل إلاّ إنجازا من إنجازاتها الممكنة.ولكلّ ذلك فإنّ هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن ، وبعبارة أخرى يعني بتلك الخصائص المجرّدة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي ، أي الأدبيّة»[10] ، تبحث في القوانين التي تحكم هذا العمل الأدبي.

1-مصطلح الشّعرية عند العرب:

تختلف الشِّعرية العربية عن الغربية ذلك أنّ طبيعة النَّص العربي تختلف عن طبيعة النص الغربي ، فقد كان الشّاعر الجاهلي يُنشد شعره ارتجالاً ، من أجل التّأثير في السّامع وهذا ما تميّز به الجاهلي من سرعة للحفظ معتمدًا على ذوقه ، وملكته ، وفطرته دون علمٍ منه بقواعدِ النّظم.يُحاكي بيئته بكلّ ما فيها من عاداتٍ و تقاليد ، حروب و انتصارات ، مفاخر قومه ومآثرها ، فهو لسان قومه النّاطق بكلّ ما يحدثُ فيها ، وكلُّ هذا كان يتمثّله بلغةٍ شعريةٍ متميّزةٍ ومتفرّدة.

وعلى هذا الأساس الّذي عُرف به الشّاعر الجاهلي «وعلى خصائص الشّفوية الجاهليّة تأسّس في العصور اللاّحقة النّقد الشّعري العربي في معظمه ، وتأسّست النّظرة إلى الشّعرية العربيّة نفسها ، و تولّدت عن ذلك معايير وقواعد لا تزال مهيمنة ليس على الكتابة الشّعرية وحدها ، وإنّما أيضا على المقاربةِ الذوقيّة والفكريّة والمعرفيّة المُتّصلة بالشّعر وقضاياه»[11] ، و من ثمَّ فالبحث في قضايا الشّعر بصفة عامّة بحث في الشّعرية العربيّة وفي النّقد القديم.

نجدها بعدّة مصطلحات تعدّدت حسب تناول النّقاد لها ، وقبل الولوج إلى هذا العلم أو المنهج أو النّظرية الّتي يُصطلح عليها بالشّعرية عند العرب ، ويُقابلها مصطلح "poétique" عند الغرب ، لابدّ من التّأصيل لهذا المصطلح ، فالحديث عن الشّعرية والبحث عن تجلّياتها في الخطاب الأدبي ليفرض علينا البحث عن المصطلحات التي تندرج ضمن مكونات مادّتها اللّغوية ، و الّتي نجدها تتكوّن من مادّة (شعر)

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

و على هذا الأساس فإنّ هذه المادّة تجتمع لتشكّل لنا صناعة شعرية ، موجودة بفعل الفاعل ، أي الّذي أوجدها (**الشّاعر**) ، والمادّة الخام الّتي أوجدها الفاعل (**الشّعر**) ، وكيفية إيجادها أي عن طريق (**الشّعور**)**،** ومن هنا يمكننا معرفة كلّ عنصر على حدّة و إلى أيّ مدى تتولّد الشّعرية من هذه المادّة اللّغوية. وإذا بحثنا في المعاجم العربيّة عن هذا المصطلح بهذه التّسمية "**الشّعرية**" فإنّنا لا نجدُ له أثرًا وإنّما نجد ما يدلُّ على خاصيّته وهو لفظة الشّعر ، ذلك أنّ العرب أوّلُ جنس أدبيّ اهتمّت به اهتمامًا كبيرًا هو الشّعر الّذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالشّعرية مع أنّ الشّعرية نجد فيها مجموعة من الأجناس الأدبية سواءً أكانت نثرية أم شعرية.

الشّعر:

مأخوذ من مادّة شَعَرَ بمعنى «شَعَرَ بِهِ وَ شَعُرَ يَشْعُرُ شِعْرًا وَ شَعْرًا... وفي الحديث لَيْتَ شِعْرِي مَا يَصْنَعُ فُلَانٌ ، أَيْ لَيْتَ عِلْمِي حَاضِرًا أو مُحِيطُ بما صَنَعَ ، والشّعر منظوم القول غُلب عليه لشرفه بالوزن والقافية. وإنْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ شِعْرًا ، وشَعَرَ أجَادَ الشِّعْرَ»[12] ، وبالتّالي فإنّ هذه المادّة اللّغوية "شعر"كلّ حرف فيها إلاّ وله دلالة ترتبط بمعناه ، فالشين شعور ، والعين عاطفة وعلم ، الراء رويّة ، فالشّاعر يقول الشّعر النابع من مشاعره وعاطفته برويّة ويعتمد في ذلك على علمه بقوانين الشّعر المتعارف عليها ، ومن هذا المنطلق نُلاحظ أنّ تعريف" **ابن منظور**" يربط بين اللّغوي والاصطلاحي ، فكلمة شَعَرَ تعني الشُعور والإحساس بالشيء ، أمّا فيما يخصّ ربطه بميزة الإيقاع ، لأنّه يخضع لضوابط الوزن والقافية ، وحتّى يُميّزه عن النثر ، باعتبار أنّ الوزن والقافية من أهمّ السّمات التي تمُيّز الشّعر العربيّ منذ القديم.

وهناك تعريف آخر أقرب إلى التّعريف السّابق ، ففي معجم الصّحاح ترد مادّة "شَعَرَ" بمعنى: «شَعَرْتُ بالشَّيْءِ بالفتح أشْعُرُ بِهِ شِعْرًا: فَطِنْتُ لَهُ. ومنه قولهم: لَيْتَ شِعْرِي ، أَيْ لَيْتَنِي عَلِمْتُ. والشِّعْرُ: واحدُ الأشْعَارِ. ويُقالُ مَا رَأيْتُ قَصِيدةً جمعًا منها ، والشَّاعر جمْعُهُ الشُّعراء ، على غير قياس. وقال الأخفش: الشَّاعر: صاحب شِعْرٍ ، وسُمِّيَ شَاعِرًا لِفِطْنَتِهِ... والمُتَشَاعِرُ الَّذِي يَتعَاطَى قَوْلَ الشِّعْرِ»[13] ، ومن ثمَّ فالّذي يقول الشّعر يتميّز بالفطنة والعلم.

من خلال التّعريفين اللّغويين نُلاحظ أنّهما يقتربان إلى حدٍّ ما من التّعريف الحالي للشّعرية والّتي يقصدون بها "**قوانين الخطاب الأدبي**" ويتجلّى ذلك فيما يلي:

إذا كان الشّعر علمًا فكلُّ علمٍ له قوانين يَتَّبِعُها الشّاعر بفطنته وذكائه ، أمّا فيما يخصّ الخطاب فنجده ورد بصيغة "يتعاطى قول الشّعر" ، لأنّ الخطاب الشّعري ملفوظ يعبّر عن أحاسيس الشّاعر ، وإذا كانت الشّعرية السّمات التي تمُيّز النّص الأدبي فقد أورد اللّغويون السّمة الّتي ميّزت الشّعر العربي القديم و هي الوزن والقافية..

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

تأسيساً على ما سبق نلاحظ أنّ مادّة شعر انبثقت منها ثلاثة عناصر أساسية ، أوّلا الشعر باعتباره المادّة الخام ، ثانيا الشّاعر باعتباره المبدع ، وثالثاً الشّعور باعتباره ذلك الإحساس المنبعث من عاطفة الشّاعر ، لأنَّ الشعر ما هو إلاّ "تجربة روحية وجمالية عميقة تتصّل بأعمق مكوّنات الأمّة ومشاعرها ، وتستخدم من اللّغة أقرب ألفاظها وكلماتها إلى الحسّ ، وأكثرها قدرة على الترميز والاشعاع"[14] ، فإنّ تداخل كلّ هذه العناصر في معانيها هو الذي يساهم في تشكيل العملية الإبداعية.

2- الفلاسفة العرب :

الفارابي :

تناول الفلاسفة العرب شرح كتاب"**أرسطو"** ، وذلك بعد ما ترجمه **"أبو بشر متّى بن يونس (ت328هـ)** تحت عنوان "أبو طيقا"[15] ، وأوّلهم "**الفارابي**" الّذي نظر إلى العناصر التّركيبية للشّعرية فحسب رأيِه «الأقاويل الشّعرية هي التي تركَّب من أشياء شأنها أن تخُيّل في الأمر الذي فيه المخاطبة حالاً ما ، أو شيئًا أفضل أو أخسّ ، وذلك إمّا إجمالاً أو قبحًا أو جلالاً أو هوانًا ، أو غير ذلك ممّا يشاكل هذه»[16] ، ركّز "**الفارابي**" على التّخييل الذي رأى أنّه العُنصر الأساسي الذي تُشَكَّلُ من خلاله بنية الشعر ، أي ذلك التّصوير الذي يكون إما مُستحسنا ، أو مُستقبحا.

يظهر تأثُّر "**الفارابي**" "**بأرسطو**" واضحًا حين تحدّث عن الشّعر ونظر إليه ووصفه بأنّه محاكاة. والسؤال الذي يطرح نفسه هل الشّعر اليوناني هو نفسه الشّعر العربي؟ ، وهنا مربط الفرس فالاختلاف نجده في طريقة المحاكاة ، لأنّ الشّعر اليوناني شِعر مسرحي يتجلّى في الكوميديا التي تُصوِّر النّاس الوضعاء ، والتراجيديا هي التي تُصوِّر الفضلاء ، وهذا ما ليس له علاقة بالشّعر العربي الذي يُحاكي الواقع أي تلك البيئة الصحراوية.

وأهمّ ما يُميّز الشّعر العربي عند "**الفارابي**" تلك العلاقة الجوهرية بين الشّعر والوزن لأنّه «لمّا كانت صناعة الشّعر والكلام المسجوع و الموزون بعامّة ، أقْدم في الوُجود من صناعة الألحان ، ولمّا كان قول الشّعر عناءً سابقًا للأوزان ، وكان استنباط الآلات الموسيقية لاحقاً للغناء ، فإنّ علاقة الموسيقى بالشّعر ، ليست مجُرد علاقة بالكلام ، وإنّما هي علاقة مخصوصة»[17] ميَّزت الشِّعر العربيّ عن غيره لما لها من التّأثير والتّخييل ، فالقول الشّعري إذا اقترن بالوزن أكسب النّفس لذة وتصورًا جميلاً.

استناداً على ما سبق نجد أنّ "**الفارابي**" يؤكّد في موضع آخر على العلاقة بين الشّعر والموسيقى ويُرجع سبب ذلك إلى «جنس واحد هو التّأليف والوزن ، والمناسبة بين الحركة والسكون ، لكنّ بينهما فرقاً هو أنّ الشّعر يختصّ بترتيب الكلمات في معانيها على نظم

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

موزون ، مع مراعاة قواعد النّحو في اللّغة ، وأنّ الموسيقى تختصّ بمزاحفة أجزاء الكلام الموزون وإرسال أصواتاً على نسب مؤتلفة ، بالكمّية والكيفية في طرائق تتحكّم بأسلوب التّلحين» [18] ، ومن ثمَّ يكون التّناسب والتّناسق بين الصوت الموسيقي والكلمة سواءً كانت مفردة أو جملة.

-الفيلسوف ابن سينا:

كان "لابن سينا" نظرته الخاصّة للشّعرية رغم تأثُّره بالفارابي فيما كتبه عن المحاكاة والتّخييل ، تحدّث هذا الفيلسوف عن الشّعرية ووصفها بالتّخييل فهو يرى أن الشِعر «كلام مخيَّل مؤلَّف من أقوالٍ موزونةٍ متساويةٍ ، وعند العرب مُقفاة» [19] ، جعل التّخييل صفة عامّة للشّعر ثمّ خصَّص سمة القافية للعرب فقط ، ذلك أن الشّعر العربي له من الخصوصيات ما ليس لغيره من الأجناس الأدبيّة.

فالتّخييل حسب "ابن سينا" يرتبط ببراعة الشّاعر في خلقه للصور وبنفسية المتلقي ذلك أنّ «المُخيَّل هو الكلام الذي تَذْعنُ له النّفس فتستنبط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار ، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسيًا غير فكري ، سواءً كان القول مصدقاً به أو غير مصدق» [20] يُشير "ابن سينا" إلى قضية الطبع التي تحدّث عنها النّقاد مطوّلا ، أي: أنّ الشّاعر لا يتكلّف في قصيدته ،و إنّما يجعلها تنساب منه في أيّ حالة كان خاصّة إذا صدرت منه في حالة حزن شديد أو فرح شديد أو انفعال نفسي فإنّها تصل إلى المتلقي بسهولة لأنّها نابعة من تجربة معاشة ، وفي هذا الصّدد يرى "**ابن سينا**" أنّ السّبب في توليد الشّعر يعود إلى شيئين مهمين أوّلهما: الالتذاذ بالمحاكاة أي محاكاة الواقع ، وثانيهما حمل الناس للتأليف والألحان ، وبهذين العنصرين تميل النّفس ميلاً كبيرًا إلى الشّعر ، وبهذا تتولد الشعرية [21] .

-الفيلسوف ابن رشد:

أمّا "**ابن رشد**" فلا يختلف كثيرا عن سابقيه من الفلاسفة فقد رأى أنّ الخاصيّة الأساسيّة التي تحدّد جوهر الشّعرية تتمثّل في المحاكاة والتّخييل ، ويرى أنّ المحاكاة في الشّعر تكون من الوزن ، واللّحن والكلام فهي: «في الأقاويل الشّعرية من قبل ثلاثة أشياء : من قبل النغم المتّفَقَة ، ومن قبل الوزن ومن قبل التّشبيه نفسه...وهذه قد يوجد كلّ واحد منها مفردًا عن صاحبه مثل وجود النّغم في المراسيم والوزن في الرقص ، والمحاكاة في اللّفظ... وقد تجتمع هذه الثلاثة بأسرها مثلما يوجد بالنوع الذي يسمّى الموشحات والأزجال... فإنّ أشعار العرب ليس فيها لحن ، وإنّما هي: إمّا الوزن فقط ، وإمّا الوزن والمحاكاة معًا فيها» [22] .

فالشّعرية عند هؤلاء الفلاسفة تجسّدت في عنصرين مهمّين هما المحاكاة والتّخييل ، لكنّنا نجد اختلافا طفيفًا بينهما حيث نجد "**ابن سينا" و"ابن رشد"** يُقرّان بأنّ المحاكاة والتّخييل

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

في الشّعر تكون من قبل اللّفظ والوزن فقط ، والفرق بينهما وبين الفارابي أنّه قصر المحاكاة في الشّعر على اللّفظ دون الوزن.
تأسيسا على ما سبق نجد أنّ الفلاسفة العرب في محاولة فهمهم للشّعرية ، انطلقوا من "أرسطو" الذي حصر الشّعر في المحاكاة وانتهوا إلى التّخييل الذي تتسّع فيه أفق الكتابة الشّعرية.

2-الشّعرية عند النُّقاد القدماء:

تبقى حلقة التأثُّر مُتواصلة فمن تأثُّر الفلاسفة المسلمين بأرسطو ننتقل إلى حلقة النُّقاد الّذين تأثَّروا بشروحات الفلاسفة ، ومن هذا المنطلق خاض النّقاد في تحديد مفهوم الشّعرية التي نجدها تجسّدت أوّلا في عناوين الكتب النّقدية من قبيل: "**عيار الشّعر** لـ: ابن طباطبا(ت33ه)" ، "**نقد الشّعر** لـ:"قدامة بن جعفر (ت337ه)" ، "**الصّناعتين**" لـ: "أبي هلال العسكري(ت384ه)" "**قواعد الشّعر** لثعلب(ت291ه)" ، "**سرّ الفصاحة**" لـ: ابن سنان الخفاجي(ت466ه)" ، " **أسرار البلاغة**" لـ: عبد القاهر الجرجاني (ت471ه)" ، "**العمدة في محاسن الشّعر وآدابه**" لـ: ابن رشيق القيرواني(ت463ه)...إلخ .
إنّ هذه المؤلّفات النّقدية تدلّ على الوعي النّقدي لهؤلاء النّقاد واهتمامهم بالشّعر العربي فقد رأوا أنّ «التّمييز بين الجيد والرديء من الشّعر ومستويات صحة المعنى الشعري وفساده لابدّ أنْ يستند إلى معايير فكرية اعتمد عليها النّقد في هذا العصر ، وتميّزت بهيمنة الطابع العقلي الذي يركن إلى المعاني والأفكار أكثر من ركونه إلى الأساليب والتّراكيب اللّغوية. وهذا النّوع من النّقد يتطلّب ثقافة لغوية مؤسّسة»[23] ، وهذا ما نجده عند النّقاد العرب فالشّعرية عندهم تتأسّس على المعاني والأفكار ، وغيرها من العناصر الأخرى.
انطلاقا من هذا التّصور فإنّ مؤلّفات النّقاد تناولت الكثير من القضايا النّقدية التي أسّست للشّعرية العربية وأهمّ هذه القضايا (الطّبع والصنعة ، عمود الشّعر ، التّخييل ، النّظم ، اللّفظ والمعنى ،الصّدق والكذب..) ، إلى جانب مصطلحات أخرى ارتبطت بالجانب الجمالي وقد جرت على ألسنة النّقاد من قبيل «الطّلاوة والرونق والحلاوة والتحبّب إلى النّفس وحُسنُ تأليفِ الكلام والإغراب أو التّعجب»[24] ، ومن ثمَّ فقد كانت هذه المؤلّفات والقضايا بمثابة تصوّر شامل للنّقد العربي.
وما كانت دراسة النّقاد لمثل هذه القضايا إلاّ «تعبير عن موقف كلّي متكامل في النّظرة إلى الفنّ عامّة أو إلى الشّعر خاصّة يبدأ بالتّذوق أي القدرة على التّمييز ويَعْبُرُ منها إلى التّفسير والتّحليل والتّقييم ، خطوات لا تغني إحداهما عن الأخرى و هي متدرّجة على هذا النّسق كي

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

يتّخذ الموقف نهجًا واضحاً موصلا إلى قواعد - جزئية أو عامّة - مؤيّدا بقوّة الملكة بعد قوّة التّمييز»[25] ، ومن ثمَّ فإنّ هذا النّص يشير إلى أنّ النّقد تأسّس في أوله على ملكة الذوق التي تأسّست بدورها على السّماع ، ثمّ أصبح النّقد له معايير وأسس لسير عليها النّاقد وتقاس بها شاعرية الشّاعر من خلال قدرته على الابتكار والتّوظيف وتأثير في نفس المتلقي ، نجد أنّ كلّ ناقد من النّقاد العرب في دراسته للشّعرية مَالَ إلى قضية من القضايا النّقدية السّابق ذكرها لأنّه وجد فيها تجسيدا للشعرية.

تأسيساً على ما سبق نجد أنّ مفهوم الشِّعرية في النّقد العربي القديم انحصر في الشِّعر كونه ديوان العرب ، ومظهر من مظاهر الإبداع الأدبي وبالتالي «فالشّعرية ليست تاريخ الشّعر ولا تاريخ الشّعراء... والشّعرية ليست فنّ الشعر لأنّ فنّ الشعر يقبل القسمة على أجناس وأغراض... والشّعرية ليست الشّعر ولا نظرية الشعر... إنّ الشّعرية في ذاتها هي ما يجعل الشعر شعراً وما يَسْبِغُ على حيّز الشّعر صفة الشعر ولعلها جوهره المطلق»[26]. فالشِّعرية ما يجعل من النّص الشعري نصا يتميّز بأسلوبه ولغته و إيحائه وهي ما يجعل من النّص الشعري يتفرّد بعناصره التي تجتمع لتشكل جماليته ، كما أنّها تكمن في ذلك التّناسب و التّلاؤم بين الألفاظ والمعاني ، وذلك الائتلاف الموجود بين العناصر المشكّلة للشّعرية التي تحدث الأثر الجمالي ، أو في تلك العلائقية بين أجزاء النّص الشّعري.

وإذا أردنا معرفة القوانين الأساسيّة للشّعرية ، والمحطّات النّقدية التّي قعّدت لها وفق رؤية مؤسّسة لقواعد الشّعر العربي والمعايير التي تحدّده فإنّنا نجدها عند عبد القاهر الجرجاني نظماً يأتلف فيه الكلام ائتلافاً ليُشْعِر المتلقي بتلك الصياغة المنتظمة كانتظام العقد ، وإذا أردناها نظريّةً لعمود الشعر العربيّ ، ومعاييراً للشّعرية فإنّنا نجدها عند كلّ من المرزوقي ، والآمدي ، والقاضي الجرجاني ، من خلال دراستهم للألفاظ والمعاني من حيث التلاؤم ، والوضوح والغموض ، والاستعارات... ، وإذا أردناها تخيّيلا وتصويرا يقوم على محاكاة الواقع بكلّ ما فيه من عناصر الطبيعة التي تُلهِم الشاعر وتثيره مخيّلته للإبداع فإنّنا نجدها عند "حازم القرطاجني" الذي تبلورت معه الشّعرية و أصبحت نظرية تتّسم بالشمولية ، فكلّ نظريّة من هذه النّظريات تمثّل مرحلة من مراحل نمو النّقد العربي.

3-الشّعرية عند النُّقاد المحدثين:

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

تتضارب الآراء وتختلف عند النّقاد العرب المحدثين حول تسمية ومفهوم الشعرية ، «فقد وصفها محمد الولي ومحمد العمري وشكري المبخوت ورجاء بن سلامة والمسدي وأحمد مطلوب وسامي سويدان وكاظم جهاد بالشعرية ، في حين أسماها توفيق بكار والطيب البكوش وحمادي صمود بالإنشائية ، وكذلك بالشاعرية عند سعيد علوش وعبد الله الغذامي ، بينما تسمى عند جابر عصفور ومحمد الماشطة بعلم الأدب....كما تسمى عند خلدون شمعة بويطيقا ، وكذلك عند حسين الواد بويتيك ، بينما يسميها توفيق الزبيدي بالأدبية»[27] ، ويرجع هذا الأمر إلى تعدّد ترجمة المصطلح ممّا وضع الباحث في إشكالية تلقيه لهذا المصطلح.

خاتمة:

نخلص ممَّا سبق ذكره في طيّات البحث ومن خلال ما جاء في هذه القراءة توصلنا إلى مجموعة من النّقاط المهمة تعتبر خُلاصة لنتائج البحث ، وقد تمثّلت في عدّة جوانب أهمّها:

- مصطلح الشِّعرية حتى وإن تعدّدت تسمياته وتشعبّت اتجاهاته ، وكثرت الآراء والتعريفات حوله ، إلى وجود تلك الفروقات الجوهرية بين ما هو عربي وما هو غربي ، إلاّ أنّ النّقاد يتفقون في أنّ الشّعرية تبحث عن قوانين الخطاب الأدبي والبحث عن تجلّياته الجماليّة.

- الشّعرية مصطلح وافد من السّاحة النّقدية الغربية ، وُلد في مُنعطفات النّظرية النّقدية الأرسطية ، فقد نظر الفيلسوف اليوناني أرسطو إلى الشّعر على أنّه محاكاة يتحدّد من خلال عناصر أساسية هي: الإيقاع ، الانسجام ، اللّغة.

- معيار الشّعرية يتحدّد من خلال المحاكاة التي تكون عن طريق الكلام والأنواع الأدبية (التراجيديا والكوميديا).

-تَلقُّف الفلاسفة العرب لكتاب أرسطو "فن الشعر" وشرحه وفهم ما جاء فيه من قوانين الشّعرية التي تختلف عن الشعرية العربية وأبرز هؤلاء الفلاسفة نذكر.

- الفارابي نظر إلى الشّعر على أنه محاكاة ، و تخييل يُفضي إلى فعل معيّن كما أشار إلى مسألة مهمّة هي: الطبع و الصّنعة ومال إلى جانب الصَّنعة ، واشترط أن يكون الشّاعر بصير بدقائق صنعته.

-ابن سينا ركّز على عنصر التّخييل لما له من أهمية في العملية الإبداعية وعدّه مرادف للمحاكاة ، إلا أنّه يرى أنّ المحاكاة ليست مطابقة للواقع

- ابن رشد انعكست آراءه الفلسفية على نظرته النّقدية للشّعر ، لأنّه تأثر بآراء أرسطو ، ورأى أنّ محاكاة الشّاعر للأفعال سواء كانت قبيحة أو حسنة تكون كما هي في الواقع.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

-ما يلاحظ أنّ كلاً مِنْ ابن سينا وابن رشد يرون أنّ الشعرية تتجسّد في عنصرين مهمين هما المحاكاة و التخييل ، وأنّهما يقعان من قبل اللفظ و الوزن. كما أنّهم تناولوا الشّعر بوصفه نشاطًا تخييليًا.

- أمّا فيما يخصّ النقاد فمن خلال مراجعة مصطلح الشعرية والوقوف عند منظريه استطعنا أن نُحدد مجموعة من المسائل المركزية وقفوا عندها مطولاً وأوّل هذه المسائل أو القضايا.

- نظرية عمود الشعر التي جاءت من أجل المحافظة على القصيدة القديمة ، فمن سار على نهج الأوائل مَثَّل عمود الشعر ، ومن سار على نهج المحدثين فقد خالف عمود الشعر ، وما ميّز هذه القضية إثراؤها السّاحة النّقدية بالكثير من القضايا كالطبع والصنعة ، الوضوح والغموض ، اللّفظ والمعنى ، الصورة الفنّية (الاستعارة) ، فمن خلال معالجة هذه القضايا استنبطت مقوّمات عمود الشعر الّتي اكتملت كنظرية بمعاييرها مع المرزوقي ، فجعل لكلّ عنصر من عناصر عمود الشعر معيارا يُحتكم إليه ، إلاّ أنّ الآمدي اتّسمت نظرته لعمود الشّعر بالتّحديد لأنّه تمثّل له في شعر البحتري أما المرزوقي فكان تصوّره منفتحا على القديم والجديد.

- إنّ تصور عبد القاهر الجرجاني للشّعرية العربية ينطلق من مبدأ دراسته لإعجاز القرآن ، واهتمامه بالنّحو والبلاغة.

-جعل النّظم أساسا للنّقد والكشف عن مرتبة الكلام وكيفية تأليفه كما أنّه نظر إلى الدّراسات السابقة لعمود الشعر ، وبعض ما جاء في قضاياه كاللفظ المعنى ، فقد نظر النقاد إليهما منفصلين ، إلى أن جاء "الجرجاني" و جمع بينهما من خلال نظريته.

الهوامش:

[1] Jacqueline picoche ;Dictionnaire Etymologique du Français Dictionnaires le Robert ;Paris ;1994 ;p442

[2] يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ،ط1 ، 2008 ، ص270.

[3] أرسطو طاليس ، فن الشعر ، تر: عبد الرحمن البدوي ، دار الثقافة ، ط2 ، لبنان ، 1973 ، ص40.

[4] ينظر : ثيو كاريس كيسدس ، هيرا قليطس ، جذور المادية الديالكتيكية ، تر: حاتم سليمان ، دار الفارابي ، ط1 ، بيروت ، 1987 ، ص231.

[5] -عثماني الميلود ، شعرية تود وروف ، عيون المقالات ، الدار البيضاء ،ط1 ، 1990 ،ص16.

[6] Jean Dubois et autres ; Dictionnaire de Linguistique ; Librairie Larousse ; Paris ; 1973 ;p 381.

[7] John Cohen ; Structure du Langage poétique ; Flammarion : 1966 ; p 7 .

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

*Littérarisées مصطلح يرادف الشّعرية ، جاء به ياكوبسون.

[8] Dictionnaire de linguistique ;p 381. يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص274 نقلا عن

[9] نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، تر: إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، وشبكة الابحاث العربية ، دط ، بيروت ، 1982 ،ص35.

[10] نزفينان طود وروف ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1987 ، ص25.

[11] أدونيس(سعيد إسبر) ، الشعرية العربية ، دار الأدب ، ط3 ، بيروت ، 2000 ، ص13.

[12] ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، دار الفكر للطباعة والنّشر و التّوزيع ، ط1 ، لبنان ، 2008 ،مادّة (شعر) ، ص673.

[13] الجوهري ، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، لبنان ، 1984 ، مج 2 مادة(شعر) .

[14] بلحاج كاملي ، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكوّنات والأصول) ، منشورات اتّحاد العرب ، دمشق ، 2004 ، ص 34.

[15] حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول و المنهج و المفاهيم ، المركز الثّقافي العربي ، ط1 ، لبنان ، 1994 ، ص 21.

[16] الفارابي ، إحصاء العلوم ، تر: عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو ، دط ، القاهرة ، 1968 ، ص83.

[17] أدونيس ، الشعرية العربية ، ص18.

[18] أدونيس(سعيد اسبر) ، الشّعرية العربية ، ص17.

[19] ابن سينا ، الشفاء(ضمن كتاب أرسطو فن الشعر) ، ص161

[20] ابن سينا ، الشفاء(ضمن كتاب أرسطو فن الشعر) ، ص62.

[21] ينظر ، المصدر نفسه ، ص71-72.

[22] أبو الوليد بن رشد ، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص203.

[23] مسلم حسب حسين ، الشعرية العربية أصولها و مفاهيمها ، ص68

[24] محمد بن عبد الحي ، التنظير النقدي والممارسة الإبداعية ، منشأ المعارف ، دط ، الاسكندرية ، 1423 ، ص35.

[25] إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، ط4 ، لبنان ، 1983 ، ص14.

[26] مرشد الزبيدي ، اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ، اتحاد الكتاب العرب ، دط ، دمشق ، 1999 ، ص104.

[27] حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص18.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583